

بريطانيا والعالم الإسلامي

بقلم

د. حامد طاهر

لا يوجد بلد غربي استفاد من خير المسلمين مثلما استفادت بريطانيا، كما لا يوجد بلد غربي أفسد في حياة المسلمين مثلما فعلت بريطانيا، والدليل على ذلك أنها بدأت بإسقاط الدولة المغولية (الإسلامية) في الهند، ثم ضمتها إلى ممتلكاتها بصورة غير شرعية حين أعلنتها إمبراطورية في عام 1876م، ونصبت عليها ملكة إنجلترا. ولكي تؤمن طريقها إلى هذه القارة المليئة بالخيرات الطبيعية، والأيدي العاملة الرخيصة، كان عليها أن تغتصب ما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط من الدولة العثمانية، التي كانت قد بدأت تدخل في دور الضعف ويطلق عليها اسم: "الرجل المريض" وفي عام 1882م احتلت بريطانيا مصر، وطمعت في السودان (1898-83)، وعقب الحرب العالمية الأولى 1919م وضعت يدها على العراق وفلسطين، وأنشأت إمارة شرق الأردن تابعة لها.

وكان ينافسها في هذا الملتهم الأول لدول العالم الإسلامي: فرنسا، ولكنها كانت تترك لها ما لا تسيغه معدتها من البلاد مثل: الجزائر، وتونس والمغرب وسوريا ولبنان، كما تركت ليبيا لإيطاليا، وشجعت اليونان على احتلال القسطنطينية نفسها، وكاد يقضى على تركيا لولا أن أنقذها كمال أتاتورك.

لقد استمر احتلال بريطانيا لما استولت عليه عشرات السنين، وكان أبرز ما فيه: استنزاف موارد تلك الدول، وتسخير القوى العاملة فيها لإنتاج ما يحتاجه المستعمر (التوابل من الهند، والقطن من مصر...) وفي سبيل ذلك: القضاء على الروح الوطنية، وتغيير القوانين المحلية، وتنصيب الحكام المتعاونين، وإفساد التعليم، وإضعاف التدريب، والعمل بكل الوسائل على استمرار تبعية البلد المحتل للمستعمر المستبد.

يقول مثل عالمي شهير: إن الأسد ليس إلا عدة خراف مهضومة. وقد كان الأسد البريطاني بالفعل تطبيقاً لهذا المثل. فبريطانيا ليست هي أغنى الدول الأوروبية؛ بل أنها أبعد من غيرها عن العالم الإسلامي، فهي ليست مثل إيطاليا أو فرنسا، ومع ذلك فقد جاءت من جزيرتها البعيدة لتحتل العالم بأكمله، واستطاعت بقوتها حيناً، وخداعها للمسؤولين في المنطقة أحياناً أخرى من فرض سيطرتها

خلال قرنين كاملين من الزمان.

فإذا جئنا إلى مشكلة فلسطين ، أو بالأحرى مأساتها ، وجدنا أن بريطانيا هى المسئولة بالكامل عن تسليمها لليهود ، وإجبار أهلها على أن يتركوها لهم . وفى الوقت الذى كانت تبترس فيه للعرب خلال الحرب العالمية الأولى ، كان بلفور وزير خارجيتها يقدم وعده الشهير لليهود بموافقة بريطانيا على إنشاء وطن قومي لهم فى هذا المكان .
لذلك فإننى أدعو الإخوة الفلسطينيين أن يتجهوا مباشرة إلى بريطانيا (المعاصرة) لكي يحملوها المسئولية ، ويدفعوها قانونياً وأخلاقياً للوقوف إلى جانبهم من أجل الحصول على حقوقهم المشروعة . أما أمريكا فليس فيها رجاء ؛ لأنها لا تحب أن تقرأ التاريخ ، ولما يهتمها إلا الأمر الواقع .

* * *